

# الفتور بعد الهمة

الكاتب: د. جمال الباشا



لقد جعل الله تعالى للباقيات الصالحات مواسمَ زمانيةً ومكانيةً ترتفع فيها الهمةُ والنشاط على العبادة والعمل الصالح، وعندما تنتهي تلك المواسم يعود المرء بطبيعة الحال إلى ما كان عليه من قبل، وربما يشعر الصادقون عندئذٍ بحالة من عدم الرضا، بل ربما يتهمون أنفسهم بالنفاق. ومما يزيد الأمر تشويشاً على الناس ما يسمعون من التقرير والتوبيخ الذي يجلد به الخطباءُ والوعاظُ الناسَ بعدَ مواسم الطاعات، ويلومونهم على الفتور وتراجع الهمة بعباراتٍ قاسيةٍ وأسلوبٍ فجّ.

وهنا لا بد من تقديم الطرح العلمي المتوازن الذي يستند إلى أدلة الشرع الذي يُراعي طبائع النفس البشرية وانفعالاتها وتقلباتها، لا إلى إملاءات الظنِّ والهوى التي قد يظن أصحابها أنها سبيل الرشاد.

وخلاصة ما يمكن طرحه عن وسطية النظرة الشرعية في هذا المقام؛ أنّ النفس لها إقبال وإدبار، ونشاط وفتور، وأنّ هذا التأرجح بين الصعود والنزول أمر طبيعي مقبول في حدود معينة، وهو الذي عبّر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لحنظلة: (ولكن ساعة وساعة).

فعندما يذهب المسلم لأداء الحج والعمرة ويشرّع في أداء المناسك يشعر بأنّ روحه تحلّق عالياً، مترفعة عن كثير من الجواذب الأرضية والملهيات التي كانت تحول بينه وبين هذا السمو الروحي.

قل مثل ذلك في شهر رمضان المبارك حينما يكون شغل القلب مع تحقيق الصيام التام، والقيام الحسن، واغتنام الأوقات بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه الكريم.

وقل مثل ذلك عند موت الأحبة، أو زيارة المقابر، أو عيادة المرضى، أو رؤية أهل البلاء، أو سماع موعظة مؤثرة، كل ذلك من عوامل رفع الهمة والنشاط في العمل الصالح، وهذا ما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بال "شِرة" فقال: (إن لكل عملٍ شِرةً) أي نشاط وهمة وحماسة.

وبعد هذا الارتفاع والصعود لا بد وأن يعود المرء إلى حالته الأولى قبل الارتفاع، وهذا الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بال "فترة"، أي الفتور والضعف بعد النشاط، فقال: (وإن لكل شِرةٍ فترة). .

الآن يأتي دور القضية المفصلية الدقيقة التي تلتبس على كثير من الوعاظ، الذين يريدون من الناس أن تكون أحوالهم الإيمانية بعد المواسم كما كانت عليه عندها، مع أنهم يشعرون في قرارة أنفسهم تجاه هذا المطلب بأنه غير واقعي، وأنه غير متحقق فيهم أساساً.

متى يكون الفتور بعد الهمة محموداً، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم "رشداً"، ومتى يكون مذموماً وقد سماه الحبيب "هلاكا"!!؟

تتمّة الحديث تبين ذلك بجلاء: (فمن كانت فترته إلى سنتي فقد رشد، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك).

أيها المبارك ..

أريدك الآن أن ترسم في ذهنك خطأ مستقيماً له رأسٌ سهمٍ في طرفه الأيمن يشير إلى اتجاه الحركة.

ثم ارسم خطأً بيانياً منحنياً صعوداً ونزولاً كالهضاب، يتجه من بداية المستقيم الأول يساراً وينتهي مع رأس السهم في اليمين، شريطة أن لا ينزل المنحني عن الخط المستقيم. بهذا تكون قد أنهيت الصورة الأولى.

مرّة أخرى، ارسـم الخـط المـستقيم الأول كما وصفتُ لك، ثمّ أتبعه بالمنحني البياني الصاعد والنازل، ولكن هذه المرة عليك أن تستمرّ بالمنحني النازل سفلًا إلى ما دون الخـط المـستقيم. وبهذا تكون قد أنهيت الصورة الثانية.

لعلك الآن قد أدركت المقصود، وبلغت الهدف المنشود. إنّ الصورة الأولى تمثل الحالة الأولى الواردة في الحديث، وهي صورة فتور العبد الصالح بعد الهمة العالية ليعود إلى حالة الاستقامة الأولى التي كان عليها قبل النشاط، وهي لزوم السنة الواجبة بفعل المأمورات وترك المحظورات، فمن فعل ذلك "فقد رشّد"، ولا يستحق اللوم ولا العتاب فضلًا عن الزجر والتوبيخ.

أما الصورة الثانية فهي التي تمثل الحالة الثانية المذمومة الواردة في الحديث الشريف، وهي ما يُمكننا أن نسميه بالانتكاسة، وهي فتور العبد بعد العمل الصالح في المواسم إلى ما دون مستوى الاستقامة، ولا يكون ذلك إلا بترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات، وهذا ما يستوجب الهلاك عند الإصرار عيادا بالله.

بعد هذا البيان المفصّل، أعتقد أنّ من الواجب على الخطباء والوعاظ أن يميزوا بين هذين المستويين من الفتور كما ورد في الحديث الشريف، وأن يترفقوا بالناس وأن يُقلُّوا عليهم من اللوم والتقريع ما لم يؤدّ بهم الفتور إلى ارتكاب الحرام، وأنّ يكفُّوا عن إطلاق العبارات القاسية المنفّرة في وصف العوام بأنهم عبّاد رمضان ونحوها، فإنها تصيبهم باليأس والإحباط وزيادة الفتور

(ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا).

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

<https://murabet.com>